

عُقُوبَةُ الْإِجْدَامِ

دراسة فقهية مقارنة لأحكام العقوبة بالقتل في الفقه الإسلامي

الدكتور
محمد بن عبد الله بن رازي الغامدي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مكتبة السلام

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقوبة

المبحث الثاني: أقسام العقوبة

المبحث الثالث: الغرض من العقوبة

المبحث الأول

تعريف العقوبة

أولاً: التعريف اللغوي:

العقوبة في اللغة اسم مصدر من عاقبه يعاقبه عقاباً ومعاقبة: إذا جازاه بشر على ذنب اقترفه. تقول العرب: أعقبت الرجل: إذا جازيته بخير، وعاقبته: إذا جازيته بشر، فأطلق على الجزاء بالخير عاقبه وعلى الجزاء بالشر عقاباً^(١).

والأصل الثلاثي للكلمة (العين والقاف والباء) يدل على أمرين:

أولهما: تأخر الشيء وإتيانه بعد غيره.

ثانيهما: يدل على الارتفاع والشدة والصعوبة.

فمن الأول: عقب القدم الذي هو مؤخرها، ومنه عقت الرجل أعقبه عقباً: أي صرت عقبه، ومنه سمي الرسول ﷺ، «العاقب»، لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء، ومنه العقوبة والعقاب والمعاقبة، لأنها تأتي بعد الذنب.

ومن الثاني: العقبة وهي الطريق الوعرة في الجبل، وجمعها عقاب بكسر العين ثم رد إلى هذا كل شيء فيه علو وشدة، ولذا سمي العقاب من الطير عقاباً وهو أحد الطيور الجارحة لما فيه من الشدة والقوة^(٢).

والعقوبة والعقاب بمعنى واحد وهو الجزاء، وهناك من يخصص العقوبة بما يلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا، والعقاب ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة

(١) محيط المحيط للبستاني ٦١٦/٢ وما بعدها، لسان العرب ١١٠/٢.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٨٥/٤ وما بعدها، مختار الصحاح ص ٤٤٢ وما بعدها، الصحاح للجوهري ١٨٤/١ وما بعدها، القاموس المحيط ١٠٦/١. الفائق في غريب الحديث ١٢/٣، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٦٧/٣ وما بعدها.

المبحث الثاني

أقسام العقوبة

العقوبة - كما أوضحناها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة - نوعان :

النوع الأول :

عقوبة مؤجلة، تصيب الإنسان في الحياة الآخرة جزاء ما اقترفه من ذنوب وآثام في حياته الدنيا، وقد ورد ذكر هذا النوع من العقوبة في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وفي أحاديث كثيرة من السنة المطهرة، بعبارات واضحة، وأسلوب صريح، وتصوير بليغ لما سيكون في الآخرة من عقاب للكافرين والمنافقين وغيرهم من العصاة، فمن آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك :

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا؟ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا.﴾ الآيات^(٤).

(١) [سورة النساء: الآية ٩٣].

(٢) [سورة طه: الآيتان ١٢٤-١٢٦].

(٣) [سورة النازعات: الآيات ٣٧-٣٩].

(٤) [سورة الفرقان: الآيتان ٦٨-٦٩].

ثانياً: التعريف الشرعي للعقوبة:

أما في الاصطلاح الشرعي فقد عرفت العقوبة بأنها «الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع»^(٢).

وعرفت بأنها: اسم للجزاء الذي استحقه مقترف هذه المحظورات بشروطها^(٣).

وعرفها الماوردي^(٤) بأنها «زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر»^(٥).

وبين ذلك بقوله: «فجعل الله من زواجر الحدود ما يردع ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة، وخيفة من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً، وما أمر به من فروضه متبوعاً فتكون المصلحة أعم، والتكليف أتم»^(٦).

والتعريف الأخير (تعريف الماوردي رحمه الله) أوضح وأشمل وأكمل، لاشتماله على العقوبات المقررة على ارتكاب أمر حظره الشرع كعقوبة الزنى والسرقة... الخ، وعلى العقوبات المقررة على ترك ما أمر به الشرع كعقوبة تارك الصلاة أو الصيام وما شابه ذلك.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

أصل المادة «العين القاف الباء» يدل على أمرين كما سبق بيانه:

أولهما: تأخر الشيء وإتيانه بعد غيره.

ثانيهما: الارتفاع والشدة والصعوبة.

(١) انظر محيط المحيط ٦١٦/٢.

(٢) التشريع الجنائي ٦١٧/١.

(٣) السرقة بين التجريم والعقوبة د. الشافعي عبد الرحمن ص ١٦.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ولد سنة ٣٦٤ من الهجرة، وتوفي سنة ٤٥٠ كان من أكابر فقهاء الشافعية، وكان ثقة ورعاً، من مؤلفاته كتاب الأحكام السلطانية وكتاب الحاوي، انظر طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٠٣ وما بعدها ط أولى ١٩٧٠ تحقيق محمود الطناحي وزميله.

(٥) الأحكام السلطانية ص ٢٢١ ط القاهرة.

(٦) الأحكام السلطانية ص ٢٢١ ط القاهرة.

المبحث الأول

المراد بالقتل وبيان أقسامه

القتل في اللغة مصدر قتل يقتل قتلاً وتقتالا من باب نصر إذا أماته بضرب أو حجر أو سم أو علة. يقال: قتله قتلاً: إذا أزهق روحه فهو قتيل، والمرأة قتيل أيضاً، فإذا حذف الموصوف جعل اسماً ودخلته الهاء نحو: «رأيت قتيلة بني فلان».

وقد يطلق القتل ويراد منه اللعن، تقول قاتل الله اليهود أي لعنهم.

ويطلق ويراد منه مزج الشيء حتى تزول حدته وشدته، ومنه قولهم: صب الماء على الخمرة حتى قتلها: أي أزال حدتها وشدتها.

ويطلق ويراد منه الدفع ومنه ماورد بشأن المار بين يدي المصلي «فليقاتله فإنما هو شيطان»^(١) أي فليدفعه عن قبلته. وهو في الاصطلاح فعل من العباد تزول به الحياة. وعرفه بعضهم بأنه عبارة عن إزهاق الروح بفعل شخص^(٢).

وفهم من التعريف الاصطلاحي أن من مات حتف أنفه لا يعتبر مقتولاً ولا يسمى موته قتلاً لأنه ليس فعلاً من العباد.

أول جريمة قتل وقعت في البشرية:

قص الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه العزيز حادث قتل في أول جماعة بشرية، وذلك في سورة المائدة حيث قال سبحانه: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك قال: إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١/١٥٤ في قصر الصلاة في السفر باب التشديد في أن يمر أحد بين يدي المصلي.

(٢) انظر لسان العرب ١١/٤٥٧ مادة قتل / المصباح المنير ٢/١٤٧ باب القاف والتاء وما يثلثهما، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٢ نتائج الأفكار ٨/٢٤٤، حاشية الشلبي على تبيين الحقائق ٦/٩٧.